

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصديري

عبيد بن الأبرص ، أحد شعراء المعلّقات ، وأحد قلماء الشعراء ، الذاهيين في القديم شأوا بعيدا . ولعبيد مكانة خاصة لها خطرها من وجوه عدّة : من وجه فني ، لوضعه بين شعراء الجاهلية ، ولكونه مرحلة انتقال بين الشعر البادئ الذي لم تستو له القيم الفنية ، وتطبّق عليه المأثورات والقواعد الشعرية ، وبين الشعر الناضج الذي نعرفه ؛ ومن وجه تاريخي ، إذ يلبّي شعره عدّة أضواء على أحداث شبه الجزيرة العربية في عصره .

وعجيب أن نجد الأقدمين من الأدباء واللغويين يُقلون الرجوع إلى شعر عبيد ، والاستشهاد به في أبحاثهم ، حتى لانجد له ما نجد لمعاصريه وزملائه من الجاهليين فيما بين أيدينا من كتبهم . ولعل سبب ذلك الاضطراب الذي ساد كثيرا من شعره ، لعدم سيره وفقا للقواعد الشعرية .

وشاعر هذا شأنه ، يكون من الشاقّ تحقيق شعره ، بل يتعدّر تصحيح بعض المواضع المحرقة منه . وعلى الرغم من ذلك ، أخذ المستشرق المدقق « سير تشارلس ليال Sir Charles Lyall » على عاتقه إخراج ديوانه ، على المخطوطة الوحيدة المعروفة منه ، والمخطوطة بالمتحف البريطاني . ولم يأل جهدا في سبيل تحقيقه ، فأخرجه عام ١٩١٣ طرفة جديرة بكل إعجاب . وقد اتصلت بهذا الديوان منذ أمد ، فأعجبتني تحقيقه ، وأعجبتني مقدمته . فأتماكنت أن ترجمتها ، لأزفها إلى زملائي من دارسي الأدب العربي . ثم وقعت على كثير من قصائد عبيد مخطوطة في « منتهى الطلب من أشعار العرب » لابن ميمون ، وهو مرجع لم يطلع عليه المحقق .

وإذ وجدت هذه المجموعة تصحح كثيرا من شعر عبيد ، وتزودنا بروايات جديدة ، بالإضافة إلى ما تمدنا به المراجع الأخرى ، وجدنتى مسوقا إلى إخراج شعر عبيد ، باتخاذ ديوانه من تحقيق «ليال» أصلا لى. وشحذ همتى إلى ذلك عدم طبع شعر عبيد، في مصر وغيرها من البلاد العربية من قبل ، وعجز الباحثين عن الحصول على طبعة ليال .

ونهدت في عملي على ترتيب القصائد على قوافيها ، دون تقيد بترتيب طبعة ليال، أو طول القصائد ، وعلى ذكر المصادر التي توجد فيها القصيدة أو أبيات منها ، وفي الحالة الأخيرة وضعت تلك الأبيات بين قوسين بعد ذكر المصدر ، لبيان للقارئ أىّ الأبيات المذكور في المصدر . وصدرت القصائد الكبيرة بكلمة ، أطلقت عليها «جو القصيدة» ، ذكرت فيها أسباب نظم القصيدة، إن كانت قد وصلت إلينا، وتحليلا لموضوعاتها . وقد أخذت هذه الكلمات مما صدر به المحقق المستشرق ترجمته لقصائد عبيد . فقد ترجم قصائد الديوان كلها، وقدم بين يديها مثل هذه الكلمات . وحاولت أن آتى بجميع الروايات المذكورة في كل بيت ، وأن أشرح كل لفظة غريبة ، فإذا كان البيت لا يزال غامضا بعد شرح المفردات ، أو ذا وجهة خاصة ، فسّرته تفسيراً عاماً مجملاً . وتمسكت في شرحي بما أدلى به الشراح القدماء في الديوان ، أو في المصادر الأخرى .

وقد عالج المحقق المستشرق أموراً ذات أهمية في مقلّمته ، إذ صدّرها يبحث عن مقتل حُجر بن الحارث ، أبي امرئ القيس الشاعر المعروف ، وملك بنى أسد قبيلة عبيد ، وهو أحد الموضوعات الرئيسية في شعر عبيد . ثم عالج المناطق التي كانت نحلها بنو أسد بالتحديد والوصف . ثم تتبع ما يعرفه الباحثون من أحداث حياة الشاعر . ثم أتى يبحث في شعره ورواياته وصحته أو انتحاله ، وأسهب في هذه المسألة إسهاباً جميلاً ، له قيمته العلمية في شعر عبيد وغيره من شعراء العرب .

ولهذه الأهمية التي تتصف بها مقدمة ليال ، ولإعجابي بها كما أسلفت ، رأيت أن آتى بها هنا كاملة دون اختصار .

والله الموفق إلى الصواب ، والهادى إلى سواء السبيل ؟

صبي نصار

المحتويات

الصفحة

٥

٨

٢٦

١

١٤١

١٤٢

١٤٥

١٥٠

١٥٣

الموضوع

تصدير

مقدمة ليال

مقدمة جامع الديوان المخطوط

الديوان

القهارس

فهرس القصائد

فهرس الأعلام

فهرس المواضع

معجم الألفاظ

مقدمة ليال

عاصر عبيد بن الأبرص الأسدي حُجْرًا ، أمير كندة ، الذي حكم أبوه قبائل أسد وغطفان ، وكنانة ! ، في أواخر القرن الخامس ، أو الربع الأوّل من القرن السادس ، حين امتدت سلطته على القبائل العربية الشمالية . ويذكر المؤرّخون البيزنطيون غارات شها (فيما يبدو) حُجْر وأخوه معدى كرب (الذي تقول الروايات إنه ولي على قبائل قيس أو هوازن) على الحدود الرومانية عام ٤٩٧ ، ٥٠١ م ٢ . وربما كان هذان التاريخان وقت انقسام القبائل بين أبناء الحارث على وجه التقريب . ويسمى المؤرّخون البيزنطيون هذين الأميرين أجاروس وباديكاريموس .

وكان من أبناء حُجْر امرؤ القيس الشاعر المشهور ، الذي يُجمع النقاد على أنه أعظم شاعر في العصور القديمة وصلت إلينا قصائده . وقصائد امرؤ القيس الباقية كثيرة بالنسبة لما بقي من غيره من شعراء عصره ؛ وتدلّ المواضع المذكورة في قصائده الطويلة التي لا يذكر فيها حروبه وطوافه ، على أنه ألّفها في شبابه وهو يقيم مع أبيه في أرض بني أسد ٣ : ولذلك ، نظنّ أن حكم حُجْر استمرّ عدة سنين ، وإن استحال علينا تقدير مدته .

وطرِد الحارث الكندي ، الذي يظهر أنه مدّ سلطانه إلى الحيرة على الفرات ، عاصمة اللخمين ، طرده منها حتّنه المنذر بن ماء السماء المشهور ، الذي يعرفه المؤرّخون الإغريق باسم « المندرس أوساكيكاس » أو « زاكيكس » ، وكان يهدد الحدود الرومانية من عام ٥٠٦ إلى ٥٥٤ . ويدعى البيزنطيون أن المنذر قتل الحارث عام ٥٢٩ ، ولكن هذا الادّعاء مشكوك فيه ، إذ تتفقّ الروايات العربية على أنه توفي ، في موضع يسمى مُسحلان من

-
- (١) انظروصف ابن الكلبي لليوم الأول من الكلاب في Noldeke – Festschrift (١٩٠٦) ص ١٣٦ .
(٢) انظر الفقرات الأصلية لتيوفانس مقبسة عند برنو ودوماسزيوسكي، Brünnow and Domaszewski Die Provincia Arabia ٣ : ٣٤٨ - ٣٤٩ . ويقول تيوفانس إن أجاروس قتل أو (مات) قبل مجوم باديكاريموس في ٥٠١ ، ولكن ربما كان ذلك غير صحيح .
(٣) انظر ابن تينة : الشعر والشعراء ٣٧ .

أرض كلب ، وهو في الصيد^١ في زمن ربما كان متأخرا قليلا على ٥٢٩ . ويبدو أن الإمارات التي ولى عليها أبناؤه في شمال بلاد العرب أخذت تتحلل من سلطتهم^٢ بعد موته ، مهما كان تاريخه ٥ وانتهى ملك حجر على بني أسد بمقتله الفجائي على أيديهم . ويروي « كتاب الأغاني »^٣ ما لا يقل عن أربع روايات مختلفة عن هذا الحادث .

١ - أولاها ، رواها هشام بن الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤) عن أبيه محمد (المتوفى سنة ١٤٦) الذي قال إنه سمعها من أحد أحفاد الكاهن الأسدي ؛ « وأن حجرا كان في بني أسد ، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقته ؛ فغبر ذلك دهرا . ثم بعث إليهم جايبه الذي كان يجيبهم ، فنعوه ذلك - وحجر يومئذ بهامة - وضرىوا رسله وضرجوهم ضرجا شديدا قبيحا ، فبلغ ذلك حجرا ؛ فسار إليهم بجند من ربيعة ، وجند من جند أخيه من قيس وكنانة^٤ ، فأتاهم وأخذ سراهم ، وجعل يقتلهم بالعصا - فسموا « عبيد العصا » - وأباح الأموال ، وصيرهم إلى بهامة ، وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبدا ، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي ، وكان سيدا ، وعبيد بن الأبرص الشاعر ، فسارت بنر أسد ثلاثا . ثم إن عبيد بن الأبرص قام فقال : أيها الملك اسمع مقالتي :

يا- عين فابكي ما بنى أسد فهم أهل الندامة

٥٥٥ القصيدة^٦ .

فروق لم حجر حين سمع قوله ، فبعث في أثرهم فأقبلوا ، حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من بهامة تكهن كاهنهم ، وهو عوف بن ربيعة . . . فقال لبني أسد : يا عبادي ! قالوا : لبنيك ربنا . قال : من الملك الأصهب ، الغلاب غير المغلب ، في الإبل كأنها الربرب ، لا يعلق رأسه الصخب ، هذا دمه ينثعب ، وهذا غدا أول من يسلب . قالوا : من هو ياربنا؟ قال : لولا أن تبيض نفس جاشيه ، لأخبرتكم أنه حجر ضاحيه . فركبوا كل صعب

(١) يوم الكلاب الأول ١٣٦ .

(٢) انظر نفس المرجع ، وخاصة صفحة ١٥٣ .

(٣) الأغاني ٨ : ٦٥ - ٦٧ .

(٤) الأغاني ٨ : ٦٨ .

(٥) انظر ديوان امرئ القيس ، القصيدة ٥١ ، البيت ٣ .

(٦) رقم ٨ ؛ في الديوان .

وذلول ؛ فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر ، فهجموا على قبته . وكان حُجْبَةً من بني الحارث بن سعد ، يقال لهم بنو خَدَّان بن خنثر ، منهم معاوية بن الحارث وشيب ورقية ومالك وحبيب ، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل . فلما نظروا إلى القوم يربطون قتله ، خيَّموا عليه لينعوه ويبيروه . فأقبل عليهم علباء بن الحارث الكاهلي ، وكان حجراً قد قتل أباه ، فطعنه من خلفهم فأصاب نَسَاه فقتله . فلما قتله قالت بنو أسد : يا معمر كنانة وقيس ، أتم إخواننا وبنو عمنا ، والرجل بعيد النسب منا ومنكم ، وقد رأيت ما نزل يصنع بكم هو وقومه . فاتهبوهم ، فشدوا على هجائته فزقوها ، ولفوه في ربطة بيضاء ، وطرحوه على ظهر الطريق . فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه ، ووثب عمرو بن مسعود فضم عياله وقال : أنا لهم جار .

قال ابن الكلبي : « وعدة قبائل من بني أسد يدعون قتل حجر ويقولون : إن علباء كان الساعي في قتله وصاحب المشورة ، ولم يقتله هو . »

٢ - الثانية ٢ ، عن أبي عمرو الشيباني (المتوفى سنة ٢٠٥) قال : « بل كان حجر لما خاف من بني أسد استجار عوير بن شحنة أحد بني عطار بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله . وقال لبني أسد لما كسروه : أما إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحل عنكم ومختليكم وشأنكم . فواعدوه على ذلك . ومال على خالد بن خدان أحد بني شغذ ابن ثعلبة ، فأدركه علباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال : يا خالد اقتل صاحبك لا يفلت فيعرك وإيانا بشر ، فامتنع خالد . ومرّ علباء بقصدة رمح مكسور فيها سنانها ، فطعن بها في خصرة حجر وهو غافل فقتله . ففي ذلك يقول الأسدي :

وقصدة علباء بن قيس بن كاهل منية حجر في جوار ابن خدان »

٣ - الرواية الثالثة ٣ عن الهيثم بن عدى (المتوفى سنة ٢٠٦) ، قال : « إن حجراً لما استجار عوير بن شحنة لبنيه وقطيئنه ، تحول عنهم فأقام في قومه مدة ، وجمع لبني أسد جمعا

(١) يسمى هذا الرجل باسم أحد نديمي المنذر الحيرى ، الذى أمر الملك فى سكره بقتلهما ، ثم بنى على قبريه العمودين المسمين بالقرنين ؛ انظر خرافة موت عبيد ، وانظر ابن قتيبة : الشر والشراء ١٤٤ .

(٢) الأغاني ٨ : ٦٦ وبعدها .

(٣) الأغاني ٨ : ٦٦ وبعدها .

سبى من قومه ، وأقبل مُدلاً بمن معه من الجنود ؛ فتآمرت بنو أسد بينها ، وقالوا :
والله لئن قهركم هذا ليحكمنّ عليكم حكم الصبي ! فما خير عيش ! يكون بعد قهر ، وأنتم
بحمد الله أشدُّ العرب ، فوتوا كراماً . فساروا إلى حجر ، وقد ارتحل نحوهم ، فلقوه
فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان صاحب أمرهم علباء بن الحارث ؛ فحمل على حجر فطعنه
فقتله ، وانهمت كندة وفيهم يومئذ امرؤ القيس ؛ فهرب على فرس له شقراء وأعجزهم ،
وأسروا من أهل بيته رجلاً ، وقتلوا وملثوا أيديهم من الغنائم ، وأخذوا جوارى حجر
ونساءه ، وما كان معه من شيء فاقسموه بينهم .

٤ - الرواية الرابعة ١ ، عن يعقوب بن السكيت (المتوفى سنة ٢٤٤) عن خالد الكلابي
(كلب بطن من عامر بن صعصعة) قال : « كان سبب قتل حجر أنه كان وفد إلى أبيه
الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد
وقد كان أغار عليهم في النساء وأساء ولايتهم ، وكان يُقدّم بعض ثقله أمامه ويُهَيِّئاً نزله ، ثم
يجيء وقد هيء له من ذلك ما يعجبه فينزل ، ويُقدّم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل
فِيضْرَبُ له في المنزلة الأخرى ؛ فلما دنا من بلاد بني أسد وقد بلغهم موت أبيه طمعوا فيه ؛
فلما أظلمهم وضربت قبابه ، اجتمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن خدان ؛ فقال :
يا بني أسد من يتلقى هذا الرجل منكم فيقتطعه ؟ فإني قد أجمعت على الثقل به ؟ فقال له القوم :
ما لذلك أحد غيرك ؛ فخرج نوفل في خيله حتى أغار على الثقل فقتل من وجد فيه ، وساق
الثقل ، وأصاب بجاريتين قينتين لحجر ، ثم أقبل حتى أتى قومه ، فلما رأوا ما قد حدث
وأتاهم به ، عرفوا أن حجراً يقاتلهم ، وأنه لا بدّ من القتال ؛ فحشد الناس لذلك ، وبلغ
حجراً أمرهم ، فأقبل نحوهم فلما غشيهم ناهضوه القتال وهم بين أبرقين من الرمل في بلادهم
بدعيان اليوم أبرق حجر ٢ ؛ فلم يلبثوا حجراً أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه ، وتشاور
القوم في قتله ؛ فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد أن حبسوه ليروا فيه رأيهم : أى قوم !
لا تعجلوا بقتل الرجل حتى أزجر لكم ؛ فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله ، فلما رأى
ذلك علباء خشى أن يتواكلوا في قتله ؛ فدعا غلاماً من بني كاهل وكان ابن أخته ، وكان

(١) الأغاني ٨ : ٦٧ وبديها .

(٢) انظر ياقوت ١ : ٨١ .

حجر قتل أباه زوج أخت علباء ، فقال : يا بني ، أعندك خير فتأثر بأبيك وتنازل شرف
 الدهر ، وإن قومك لن يقتلوك ؟ ! فلم يزل بالغلام حتى حربته ، ودفع إليه حديدة وقد
 شحذها ، وقال : ادخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله . فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها
 ثم دخل على حجر في قيته التي حبس فيها ؛ فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله ؛ فوثب
 القوم على الغلام ، فقالت بنو كاهل : ثأرنا وفي أيدينا ، فقال الغلام : إنما ثأرت بأبي .
 فخلوا عنه .

وتتفق الرواية الثالثة من هذه الروايات الأربع مع أقوال عبيد في ديوانه ١ . انظر
 القصيدة ٣ البيت ٢٧ ؛ والقصيدة ٤٧ الأبيات ٦-٢٠ ، والقصيدة ٥٢ (كلها) ، والقصيدة ٣٧
 الأبيات ١١-١٨ ، والقصيدة ٣٩ الأبيات ١٢-١٤ ، والشذرة ١ ، ٧ . ولا تتفق هذه
 المقطوعات جميعها مع الروايتين الثانية والرابعة .

أما الرواية الأولى ، فتوافقها القصيدة ٤٨ التي يشك في صحتها ؛ ولكن هذه القصيدة
 توحى للمرء بأنها نُظمت في عصر متأخر عن عصر عبيد (انظر ذكر « القيامة » في البيت ١١)
 ولا يستطيع الإنسان أن يبعد عن خاطره الشك في أنها من نظم أحد أعداء بني أسد تعصبا
 لليمن (موطن كندة) على معد (أصل أسد) . وكثيرا ما تُعزى هذه المنحولات إلى ابن
 الكلبي ، خاصة في الأخبار المتعلقة بالقبائل اليمنية وعرب الشمال : مثل الأشعار المنحولة ٢
 التي نسبها إليه مؤلف « الأغاني » عن الخصومة بين عامر بن الطفيل ويزيد بن عبد المدان
 من بلحارث ، والأبيات التي يقال إنه نظمها ٣ ليحط من شأن دُرَيْد بن الصّمة ، أحد
 أبطال هوازن ، ويرفع بلحارث .

بعد موت حجر ، وقع عبء الأخذ بثأره على ابنه الأصغر امرئ القيس ؛ ويذكر
 كتاب « الأغاني » ٤ وصفا مطولا لما تكبده في هذا السبيل . فقد طوّف بين القبائل ؛
 حتى استحقّ اللقب الذي عُرف به في الأخبار العربية « الملك الضليل » ، بحثا عن يساعده

(١) يؤيدها أيضا ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٤٣ .

(٢) الأغاني ١٨ : ١٦١ .

(٣) الأغاني ٩ : ١٩ .

(٤) ٨ : ٦٧ ويدها .

على الأخذ بثأره ، الذى لم يخاصمه فيه القبائل العربية وحدها ، بل المنذر ملك الحيرة ، الذى كان يبسط سلطانه شيئا فشيئا على بلاد العرب الشمالية ، وأخيرا اضطرّ فى ثورة يأس إلى الالتجاء إلى قيصر ، فتبعه - كما تقول الأخبار - رسول من أسد ، يسمى الطمّاح ، استطاع أن يفسد عليه قيصر ، حين أخبره بوجود مؤامرة بين امرئ القيس وابنته عليه . ويقال : إن قيصر أرسل لامرئ القيس (الذى أعطاه قوّة لمساعدته فى قتال بنى أسد ، وأُشْرِعَ فى الرجوع إلى بلاد العرب) ، حلّة مسمومة مثل حلّة نيسوس فى الأساطير القديمة . وعندما ارتداها تساقط لحمه ، ومات جنوبي أنقرة ١ ، ولذلك يسمى « ذا القروح » ، وقد ذكر [هذا الاسم الفرزدقُ الشاعر فى القرن الأوّل من الإسلام . ولا نعرف بالتحديد تاريخ وفاة امرئ القيس ، ولكن من المحتمل أن يكون توفى شابا ، فيما بين عامى ٥٣٠ و ٥٤٠ ، كما يظنّ الأستاذ « نولدكه » ٢ ، وكان الامبراطور فى ذلك العهد « جستنيان الأوّل » . ونعرف من المؤرّخين البيزنطيين تواريخ عدة حوادث وقعت فى عهد الملكين العربيين المعاصرين : الحارث الأعرج الغساني (٥٢٩ - ٥٦٩) ، والمنذر الحيرى (٥٠٦ - ٥٥٤) ، اللذين تعاقبا على السيطرة على الحدود الشمالية تحت رعاية الرومان والفرس . أما حوادث داخل شبة الجزيرة ، فليس لدينا مصدر لأخبارها غير الأخبار القبلية ، الغامضة المضطربة ، المرتبطة ارتباطا وثيقا بالقصائد التى ألّفها الشعراء القبليون ، وجمعها الأدباء فى أواخر العصر الأموى وأوائل العباسى ، بعد ظهور الإسلام بوقت غير قصير . ولما كان هؤلاء الباحثون لا يعرفون المدونات البيزنطية ، ولم يكن أمامهم غير هذه الأخبار المأثورة ، فإنهم استنبطوا منها تاريخا لا يتفق مع الحقائق المثبتة فى المدونات المذكورة .

وكانت حدود أرض أسد تمتدّ جنوبي تيماء المشهورة ، وشرقي طريق التجارة العظيم الممتدّ من الشمال إلى الجنوب ، وهو الآن طريق الحجّ من معان إلى المدينة ، وغربي وجنوبي الحدود الغربى من أجأ وسلمى ، جبلى طي . وكانت أسد ٣ أقصى قبائل معد شمالا ، على

(١) ديوان امرئ القيس ، القصيدة ٢٨ .

(٢) انظر مقال « المملكات » فى دائرة المعارف البريطانية ، الطبعة الحادية عشرة ، ص ٦٣٤ .

(٣) يظهر اسم أسد بين رعايا الملك امرئ القيس ، الذى يوجد قبره فى النمارة فى الرحبة شرق حوران =

الطريق من الجنوب إلى فلسطين وسورية ؛ وراءها قبائل عُذرة ، وجُدَام ، وبَيْلى
 اليمنية ، على الطريق التجارى ، وإلى شرقها وشمالها الشرقى قبيلة كَلَب ، اليمنية الأَصْل أيضاً
 فى المنخفضات المسماة الآن بواى سرحان والجوف ، يفصلها عن أسد شريط واسع
 السلاسل الرملية (النفود الآن) . وقد زار عدة رحالة أوربيين أرض أسد . وعَبْرَد
 « دوقى » فى ربيع ١٨٧٧ ، فى طريقه من مدائن صالح إلى تيماء ، ومن تيماء إلى حائل .
 واخترقها إيوتنج Euting وهوبر Huper عام ١٨٨٤ . ووصف حديثاً مسرّ دجلاس
 كررزرت Douglas Carruthers ، الذى زار تيماء من الشمال فى شتاء عام ٨ - ١٩٠٩ ،
 تجاربه فى « مجلة الجمعية الجغرافية الملكية » عدد مارس ١٩١٠ ، ومناظر هذه المواطن
 متنوعة . فى الشرق والشمال سلاسل جبال أجأ وسلمى ، تمتد شمالاً بشرق وجنوباً بغرب
 وهى كُتْل هائلة من الجرانيت ؛ وفى الغرب المرتفع الرملى ومناطق الحصى المتاخمة لطريق
 الحج ، وتصيح فى الربيع مراعى خصبة ، كثيرة المياه . وفى الوسط منطقة السلاسل والصفائر
 من المرتفعات الصخرية المختلفة ، وفى الجنوب الحَرّات الكبيرة ، أو سهول الالفا البركانية ،
 لا تخلو من المراعى والمياه ، وأكبرها حرّة خَير ، وكان اسمها حرّة ضَرُغْد^٢ .
 وكان عبيد من سعد بن ثعلبة « بن دُودان بن أسد » ، ويبدو أن نسبة الكامل هو :
 عبيد بن الأبرص (بن عوف)^٣ بن جُشم بن عامر بن مالك بن زُهير (أوهر) بن مالك
 ابن الحارث بن سعد بن ثعلبة .
 ويصف البكرى^٤ أرض بنى سعد بأنها على مسبعة ١٦ ميلاً من قيّد فى اتجاه الكوفة ،

= حاملا نقشا مؤرخا بعام ٣٢٨ م؛ انظر دسو: «العرب فى سورية قبل الإسلام Dussaud, Les Arabes en Syrie avant l'islam.» ص ٣٤ وبمدها . ولكنها ربما كانت قبيلة أخرى بالاسم نفسه، كما تذكر نزار
 ومعد ومذحج أيضا فى النقش ، وترجع هذه الأسماء إلى طبقة من النسب أكثر قلما من أسد بن خزيمه . فالواضح أن
 امرأ القيس (مرأ القيس) هذا ملك لحى قديم .
 (١) كثيرا ما يذكر قدماء الشعراء لحمامع جذام : مثال ذلك فى المقطوعة ٤٥ من عبيد . أما بلى فكانت
 تقم على وجه التقريب غربى طريق التجارة وبلاد أسد ، ولا تزال تسكن المنطقة نفسها . (انظر دوقى : الصحرا
 العربية (Doughty : Arabia Deserta)

(٢) انظر الديوان ، القصيدة التاسعة عشرة ، البيت الأول .

(٣) لعل عوفا اسم أبيه ؛ أما الأبرص فعناه المصاب بالبرص ، وهو إذن لقب .

(٤) ص ١٠٣٣ .

على سفوح جبل عنيزة . وتذكر في القصائد عدة أماكن من هذه المنطقة ١ . ويدل
 بوصفها على أنها ليست بعيدة عن مدينة «حائل» الحديثة ، وأن دور بني أسد كانت مختلطة
 بدور بطون طيء . ويبدو من القصيدة ٤ أنها تعرضت لحسائر جسيمة من جراء هجمات
 بني غسان بقيادة الحارث الأعرج ٢ ، الملك النشط ، الذي تعرفه القسطنطينية جيدا . ويذكر
 مطلع القصيدة الخامسة إقفار أرضهم ، والقصيدة ٤ البيت الثاني ، تفرقة الباقين بين البطون
 الأخرى من القبيلة . ويذكر في قصائد أخرى معاهدات مع الحارث ؛ وكان الوضع
 الجغرافي يجعل أسدا أول قبيلة مستقلة من أصل غير يمني يحاربها الملك الغساني في حملاته التي
 يعيها لمعاينة مهاجمي الحدود الرومانية . وربما شارك هذا البطن من أسد في هجمات حجر
 ومعديكرب المذكورة آنفا عامي ٤٩٧ و ٥٠١ .

ولكن الحوادث التاريخية الرئيسية المذكورة في القصائد تتصل بقتل حجر ، ومحاولة
 امرئ القيس الثأر له . ويخاطب عبيد في إحدى قصائد الديوان (رقم ٤٨) البالغة ثلاثين
 قصيدة ، حُجرا نفسه ؛ ويخاطب في القصائد ٤٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ١٩ امرأ القيس ، أو يشير
 إليه ؛ ويذكر في قصيدتين أخريين ، بالإضافة إلى ما ذكر فوق ، أي رقم ٣ (البيت ٢٧)
 ورقم ٣٩ (البيت ١١) مقتل حجر . ويشير ثلاث (رقم ١ ، ٢٤ ، ٤٦) من الشنرات
 في آخر الديوان إلى الحادث نفسه .

ولا يرتبط عبيد بامرئ القيس بواسطة هذه الأحداث التاريخية وحدها : إذ توجد
 إشارات واضحة في أشعارهما كليهما تدلّ على أنهما عابجا موضوعات واحدة ، وربما
 اشتركا في منافرات ودية (قبل ظهور العداء بينهما) . فتوافق أشهر قصائد عبيد ، الأولى :
 قصيدة امرئ القيس ١٥ في طبعة آلورد في العبارات والوزن ، كما بيّن الدكتور
 همل Dr. Hommel عام ١٨٩٢ ٣ . وهذه ظاهرة جديدة بالملاحظة ، لأن بحرهما من نوع
 البسيط ، غاية في الندر ، بل لأعرف مثلا آخر منه في الشعر العربي القديم . وهناك حالات

(١) انظر القهرس الجغرافي .

(٢) بين الأستاذ لتمان ، في مقال نشره في مجلة الدراسات الشرقية *Rivista degli Studi Orientali* ،
 ١٩١١ ، العدد الرابع الصفحة ١٩٣ - ٥٠ ، أننا نملك سجلا نقشيا عن حملة قام بها الحارث على خيبر في ٥٦٧ م . وطبيسي
 أن هذه الحملة متأخرة كثيرا عن حياة عبيد : ولكنه ربما غزا المنطقة عدة مرات من قبل .

(٣) *Ausfatze u. Abhandlungen*, 52-92 (٣) .

أخرى يظهر فيها الشاعران يستمدان من ذخيرة شعرية واحدة في العبارات والموضوعات ، أو يعالجان موضوعاتهما معالجة واحدة ؛ وأوجه الأنظار إلى التعليقات في القصائد المختلفة . ولست بحاجة إلى القول بأن هذه الإشارات التاريخية والاتفاقات في معالجة الموضوعات تعطينا أدلة قوية على صحة القصائد ، قصائد الشاعرين الأسدي وأمير كندة ، التي ترد فيها ؛ وقد نشك في التفاصيل الخرافية عن قتل حجر ، وطواف امرئ القيس طلباً لثأره ، كما جاءت في الروايات ؛ ولكن يبدو لي أنه لا مبرر للشك في الحوادث الرئيسية . بل رحلة امرئ القيس إلى امبراطور القسطنطينية لطلب نصرته ، التي تبدو غير محتملة للوهلة الأولى ، يوجد ما يؤيدها في قصيدة عبيدة ٤٧ البيت ١٩ ، ويوجد شاهد آخر يؤيد صحة الخبر الذي تذكره الروايات عن وضع الأمير ، حين شرع في رحلته إلى الشمال ، ذخيرة قيمة من الأسلحة والدروع لدى الزعيم اليهودي السموع بن عادياء ، فوضعها في قصره الأبلق بجوار تيماء . وحين توفي امرؤ القيس في أثناء رجوعه ، ظهر الحارث ! ملك غسان وحامي الحدود الرومانية ، أمام الأبلق ، وطالب بأسلحة امرئ القيس . فرفض الزعيم اليهودي أن يسلم وديعته ، حتى عندما هدده الحارث بقتل ابنه ، الذي أسره وهو خارج القصر يصطاد ، أنام نظر أبيه ، وقد قتله فعلاً . ومهما يكن من شيء ، فإن الملك الغساني عجز عن اقتحام القصر ، وانسحب دون أن يقضى وطره . ومن الواضح أن الحارث اعتمد في طلبه وديعة امرئ القيس على أن امرأ القيس صار من الرعية الرومانية باستنصاره قيصر ، وأنه المستول عن إرثه ، لكونه ممثل الرومان ، وقد وردت مكرمة السموع هذه في قصيدة مشهورة ٢ لأعشى قيس يمدح بها شريحاً ، من ولد السموع ، في أوائل القرن السابع الميلادي ، ولا يمكن أن يتطرق الشك إليها .

- (١) ذكر ابن قتيبة ٦ ؛ أن الذي حاصر الأبلق إنما هو الحارث بن مالك ، قريب الملك الحارث ، لا الملك نفسه .
(٢) القصيدة في الأغاني ٨ : ٨٢ ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٣٩ - ٤٠ ، والميداني (فريتاغ) : الأمثال ٢ : ٨٢٩ ؛ وانظر نولدكه Noldéke, Beitrage ٥٨ - ٦٤ . وعبر نولدكه ، في مقاله عن السموع في مجلة الأشوريات Zeitschrift f. Assyriologie ٢٧ ، ١٧٣ ، عن بعض الشك في خبر السلاح ، إذ يمثل الشاعر الرئيس اليهودي مجيباً على نداء التسليم : « إني مانع جاري » ؛ ولكن أليس من الممكن أن تذكر حماية أملاك الحارث باعتبارها حماية للحارث نفسه ؟ وانظر الخبر المائل عن أسلحة النعمان وذخائره في يد بني بكر ، قبل وقعة ذي قار .

ولا تشير أية قصيدة في الديوان إلى موت امرئ القيس ، ومن المحتمل أن عبيدا لم يعش

بعده .

وليس لدينا أخبار عن تفاصيل حياة عبيد ، غير ما جاء في قصائده . ومن الواضح أن الأخبار التي تروى عنه خرافية ، ولا تحمل طابع الصدق . قيل : إن سبب قوله الشعر : أنه أتاه آت في منامه تحت شجرات بالعراء بكسبة من شعر ، فألقاها في فيه ، وقال : قل ما بدأ لك ، فأنت أشعر العرب ، وأجعد العرب . وقيل : إنه عُمر طويلا جدا ، حتى لقد قيل ٣٠٠ عام ٢ ، كما قيل إنه زار حاتم طي المشهور في صحبة بشر بن أبي خازم والناطقة الذبياني ، في أثناء وفودهم على بلاط النعمان أبي قابوس ، آخر خلفاء الحيرة اللخمين . ولا يتفق هذا مع الرواية الأخرى الصحيحة ، القائلة بأن عبيدا قتله المنذر بن ماء السماء نجل النعمان ، ونعرف من المؤرخين البيزنطيين والسريانيين أن المنذر قُتل في حربه مع الحارث الغسانی عام ٥٥٤ م ؛ إذ أنه هو آخر عام يمكن أن تؤرخ به وفاة عبيد ، وإن كنا لانستطيع أن نعرف المدة التي انقضت على وفاته قبل ذلك العام . ولم يتول النعمان العرش إلا حوالي عام ٥٨٠ م . والخبر العجيب عن قتل المنذر لعبيد ٣ في الصفحة ٢ - ٤ من الديوان ؛ وربما كانت أحسن رواية له الموجودة في « أمالي » القالي . وكان الغريتان أو الطربالان المبنيان على قبري نديمي الملك الأسديين ، واللذين كان المنذر يسفح عليهما دم أول من يراه في يوم شؤمه ، لا يزالان في زمن ابن قتيبة ؛ في الكوفة (المتاخمة للحيرة القديمة) ، ويقال في معجم ياقوت : إن معن بن زائدة ، في زمن ثعلب النحوي ، وجد أحدهما دائرا ، والآخر مائلا .

ويظهر في معظم قصائد عبيد أنها من تأليف رجل متقدم السن ، ينظر إلى شباب يعده من أجل المراحل التي قام فيها بجلال الأعمال . ولا يتفق هذا مع الخبر القائل بأنه كان فقيرا مقلتا يرعى غنيمة له ، حينما هبط عليه الإلهام للمرة الأولى ؛ ويبدو أن نسختنا زادت

(١) انظر الديوان (طبع ليال) ص ١ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ١٤٤ ، أبو حاتم السجستاني : كتاب الممرين ٦٦ .

(٣) يعزو ابن قتيبة (١٤٤) القطة في غياه إلى النعمان .

(٤) الشعر والشعراء ١٤٤ .

(٥) ياقوت ٣ : ٧٩٥ وبهذا .

عبارة ١ ، ليست في رواية الخبر المطبوع في « القصائد العشر » ص ١٥٩ ، لتبين أن فقره يرجع إلى بسط يده ، وصلته رحمه .

ويوضع عبيد في مرتبة عالية بين الشعراء القدامى . فقد وضعه محمد بن سلام ٢ في الطبقة الرابعة من الفحول ، مع طرفة ، وعلقمة بن عبدة ، وعدى بن زيد ؛ وتخرنا الفقرة نفسها أن ذلك المؤلف لا يعرف من قصائده سوى : « أقفّرَ مِن أهْلِهِ مَلْحُوبٌ » ؛ إذ أن شعره مضطرب ذاهب ، لقدمه ، على الرغم من شهرته الواسعة . ويقول ابن قتيبة ٣ إن القصيدة الأولى تعد « من السبعة » : أي من المعلقات ؛ وربما قدرها النقاد لصبغها التعليمية والأخلاقية التي ليست ميزتها الكبرى في نظرنا . ولا شك أن سبب هذا اقتران عبيد بعدى بن زيد الحصري ، الذي يختلف عن عبيد من جميع الوجوه الأخرى اختلافا كبيرا . واشتهر عبيد بوصف العواصف والأمطار . وروى يونس عن ذى الرمة (وكان بارعا في هذا الشأن) أنه فضل امرأ القيس عليه ؛ ولكنه يعدّ مع أوس بن حجر سادة هذا الوصف ٤ ويتناول كثير من قصائده الباقية العواصف ٥ . ويذكره الفرزدق « من النوايغ الماضين الذين وهبوه الشعر » في عبارة مشهورة يعدّ فيها من سبقه من الشعراء العظماء ٦ .

ولم تصل إلينا أخبار عن أول من جمع قصائد عبيد الباقية من العلماء ، ويبدو من عبارة ابن سلام (المتوفى سنة ٢٣١) المشار إليها أنها لم تكن جمعت حين ألف « طبقات الشعراء الجاهليين » ، ومع ذلك يشار في شرحنا (للديوان) إلى أبي عمرو الشيباني ، ذلك الراوي الجامع الذي لا يملك للشعر القديم ، والمتوفى قبل ذلك بعشرين عاما أو خمسة وعشرين (يقال : إنه توفي عام ٢٠٥ أو ٢٠٦ أو ٢١٣) يشار إليه حوالي عشر مرات ٧ على أنه عرّف عدة قصائد ؛

(١) الديوان (طبع ليال) ص ٢ .

(٢) الأغاني ١٩ : ٨٤ .

(٣) الشعر والشعراء ١٤٤ .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٤١ وبعبارة .

(٥) أرقام ٣٤ ، ٤٩ : ٩ - ١١ ، ٣٠ ، ١١ - ١ : ١١ ، ٧ - ٦ : ١٦ ، ٢٣ ، ٣٥ .

(٦) النقائض ، رقم ٣٩ . الأبيات ٥١ - ٦٢ (ص ٢٠٠ - ٢٠٢) ؛ يذكر عبيد في البيت ٥٥ مع معاصره ،

أبي دواد الإيادي .

(٧) ص ٩ سطر ١٤ (٣٣٣ حميد من أبي عمرو) ١٦ ، ١١ : ٢٥ ، ٤ : ٢٩ ، ١١ : ٣١ ، ٥٠ ، ٦ :

٥١ ، ٧ : ٥١ ، ١٤ : ٥٥ ، ١٥ : ٥٦ ، ٩ : ٥٩ ، ٥ : [من طبعة ليال ، وانظر فهراس هذه الطبعة] .

كما أنه راوى خبر إلهام عبيد بالشعر الذى يفتح به الديوان . ويذكر الأصمعي (المتوفى سنة ٢١٣) وأبو عبيدة (المتوفى بين عامى ٢٠٨ و ٢١١) فى الشرح ثلاث مرّات ١ ، وخالد ابن كلثوم مرتين ، وأبو الحسن الأثرم مرّة ٢ ، ولكن الرواة الذين يتردّد ذكرهم كثيرا فى الشرح هم ابن كنانة وأبو الوليد ؛ ويبدو أن الأوّل المذكور باسمه فى شرح البيت الثانى من القصيدة الثالثة هو محمد بن كنانة الذى يترجم له صاحب الأغاني ١٢ : ١١١ - ١١٥ ، وهو أسدى من بنى الحارث بن ثعلبة (أخى جد عبيد : سعد بن ثعلبة) عاش فى الكوفة حيث يظهر أن جماعة كبيرة من أسد أقامت بها فى العصر الأموى ، وأوائل العباسى ؛ وكان ابن ابن أخت ٣ إبراهيم بن أدهم الصوفى القديم المشهور ، وورثاه . وذكر جامى « فى نفحات الأنس » أن إبراهيم بن أدهم توفى عام ١٦١ أو ١٦٦ ، ويقال إن ابن كنانة سمع من الأعمش الذى يذكره « لسان العرب » أحيانا ، وهو مولى بنى كاهل بن أسد فى الكوفة ، وتوفى فيها عام ١٤٧ (أو ١٤٨ أو ١٤٩) .

أما أبو الوليد الذى يذكر أيضا فى شرح هبة الله فى « المختارات » ٤ فلم نستطع أن نعرفه . وربما كان أبا الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب من بنى الشداخ بن كنانة ، المذكور فى « الفهرست » (ص ٩٠) ° فى النسابين والمحدثين ؛ ويقال فيه إن أباه كان عالما بالحديث وأشعار العرب . وتدلّ المقتبسات الكثيرة من قصائد عبيد فى كتب الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥) دلالة واضحة على وجود الديوان (أو القصائد المولّقة له) فى أوائل القرن الثالث ، غلى حين يؤكد ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦) صحتها فى أواخر القرن نفسه ، وتوجد اثنتا عشرة قصيدة لعبيد فى المجموعة المسماة « مختارات شعراء العرب » التى جمعها هبة الله بن الشجرى (المتوفى سنة ٥٤٢) ، وتوجد نسخة منها بخطّ المؤلف فى دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وطُبعت بالحجر عام ١٣٠٦ هـ .

-
- (١) الأصمعي ١١ : ٤١ ، ٧ : ١١ ، ٥٢ : ١٢ : ١٢ : ٥٢ ، ١ : ٥٩ ، ٥ : [من طبعة ليال ، وانظر فهرس هذه الطبعة] .
(٢) خالد ٤١ : ٣ ، ٥٢ : ٢ : الأثرم ٣٧ : ٢ - ٣ [من طبعة ليال ، وانظر فهرس هذه الطبعة] .
(٣) أو ابن خالته ، الأغاني ١٢ : ١١٣ .
(٤) انظر التعليق على قصيدة ١٣ ، البيت ١١ [فى الترجمة الإنجليزية] .
(٥) يذكر أيضا عند ابن دريد ١٠٦ .

ولا يجعل شرح القصائد أى [إسم ، وليس له مقدمة تشرح مصدره ، ومن الواضح أنه « كوفي » الأصل^١ ، وينتمى الراويان المذكوران فيه (أبو عمرو وابن كنانة) إلى تلك المدرسة . ويبدو أن تعليقاته (أو بعضها) كانت مكتوبة أصلا على هامش الأبيات ، فأضاع المُجلّد نهايات بعضها في تجليده النسخة التي كُتبت عنها نسختنا ، فنقصت الشروح . (انظر مثلا القصيدة الثانية ، البيتين ٢ ، ٣ ، والقصيدة الثالثة ، البيت الثامن ، وغيرها [في طبعة ليال]) . ويرتكب الشارح أحيانا أخطاءً جسيمة ، لا يمكن أن تصدر عن عالم بارز . انظر مثلا شرح البيت ١٢ من القصيدة ٤ ، والقصيدة ٥ البيت ١١ نحويا ؛ والقصيدة الأولى ، البيت ٢٩ ، والقصيدة ٦ ، البيت الأوّل ، والقصيدة ١٢ البيت ١٢ في معنى الألفاظ ، والقصيدة ٢٠ البيت ٨ في الأخبار . وغالبا ما يكون الشرح غير كاف ، متجنباً الصعوبات الحقيقية ، محتويا على تكرار كثير لا طائل تحته . ولا يستشهد بأبيات الشعراء الآخرين في شرح الألفاظ إلا في خمس مرّات^٢ . أما القصائد الثلاث الأخيرة من المخطوط ، وفيها كثير من المشاكل التي تحتاج للحلّ^٣ ، فليس عليها أى شرح إطلاقا .

وقد نُسخ هذا النصّ الذي لم تدوّن فيه روايات مخالفة ، ولعله كان رديئا ، سيئ الخط ، مهمل الضبط ، والإعجام ، في مخطوطتنا بطريقة كثيرا ما تكشف عن أعظم قسط من الجهل والإهمال . وثمة واحدة كافية لتبين ذلك ، لوقُورنت إحدى القصائد الموجودة في « المختارات » بنصنا والاختلافات الموجودة بينهما . والناسخ مغربيّ ، ولعله من الأندلس ، وإذ كانت الدواوين الأربعة بخط واحد^٤ ، فإن تاريخ المخطوط قريب من عام ٤٣٠ (انظر خاتمة ديوان عامر بن الطفيل) . وكان أصل مخطوطتنا مغربيّ الخط أيضا ، كما يتضح من أمثال التحريف التالي : « وَاسْتَكَمَلَ عَنَّهُنَّ » بدلا من « وَاسْتَنْظَلَ تَحْتَهُنَّ » في ص ١ : فن الممكن الخلط بين « ظ » عند جرّ مركزها إلى الخلف كما في الخط المغربيّ بحرف « ك » : وانتقلت نسختنا المغربية ، التي كثيرا ما تهمل النقط ، وغالبا ما تهمل الإعجام ، إلى حيازة مشرق ، فزوّدها بالأمرين بطريقة تبين أنه لم يكن لديه في أغلب الأحيان أقلّ فكرة عن المعنى . فالرمز « ف » في المغرب يشير إلى القاف و « و » يشير إلى الفاء : ولكن العربيّ المشرق

(١) انظر الحاشية التي على البيت ١٢ ، من القصيدة ٢١ [طبعة ليال] .

(٢) الأعشى ٧ : ٦ - زهير ١٧ : ٢ - لبيد ١٠ : ١١ ، ٢٢ ، ٢ ، كعب بن زهير ٢٠ : ١٦ [طبعة ليال]

(٣) دواوين عبيد ، و عامر بن الطفيل ، و طفيل الغنوي و الطرماح .

صاف النقط الناقصة وفقا للطريقة الشائعة في المشرق، مستخدما « ق » للقاف و « ف » للفاء .

فكان الخلط الناتج عن ذلك غير عادي ١ :

وكان من الخطر كل الخطر أن أشتغل على مخطوط وحيد كهذا ، محاولا تحقيق النص وإقامته ، لولا وجود قدر كبير من القصائد التي يضمها الديوان في مراجع أخرى . فيذكر ما لا يقل عن ٢٣ قصيدة ، من القصائد الأربع والعشرين الموجودة في المخطوط بما كاملة أو مقطوعات منها ، في كتب أخرى . وتضم القصائد ٤٦٢ بيتا ، يوجد منها في المواضع الأخرى ٢٧٩ ، فلا نُترك بدون عون تحت رحمة المخطوط إلا في ١٨٣ بيتا . ومن المحقق أن كثيرا من هذه الأبيات يواجهنا بمشاكل جدية ؛ ولكن في الإمكان إبراز نص يبدو صحيحا ، ولا يختلف اختلافا ما ديا عن المخطوط ، بالاستعانة بالفقرات المماثلة في قصائد عبيد الأخرى والشعر القديم عامة . ولم أر ، عند الطبع ، من الضروري الإشارة إلى التغييرات التافهة التي أجريها في المخطوط ، مثل وضع النقط الناقصة ، أو تصحيح الأخطاء الواضحة التي وقع فيها المالك الثاني عند وضعه إياها : فلو أشير إلى كل تغيير من هذا اللون لتضخمت التعليقات تضخما غير محتمل ؛ ولكنني أعتقد أنني قد أبنت جميع الاختلافات الهامة بين النص الذي اعتمدته والمخطوط . وقدمت صورة من القصائد الثلاث الأخيرة ، التي أهمل شرحها إجمالا تاما ، ولم يرد من أبياتها ال ٧١ غير سبعة في مراجع أخرى ؛ للرجوع إليها للمقارنة :

أما صحة الأبيات فينظر إليها الأشخاص المختلفون من زوايا مختلفة بالطبع . ومن المؤكد أن قصائد البدو الوثنيين لم تنتقل إلينا مكتوبة ، وإنما بالرواية ، وكانت القصائد التي تسجل انتصارات القبيلة من أعز ما أثرها ، فرويها جيلا عن جيل . وبالإضافة إلى هذا النوع من المعرفة بين القبيلة ، وجد الراوي ، ومهمته أن يحتفظ بالأشعار كما تعيها ذاكرته . وفي العصور التي لا تستخدم فيها الكتابة إلا في المدن ولأغراض خاصة ، يُعنى بالذاكرة عناية كبيرة ، وتكون أقدر كثيرا منها في العصور الحديثة ؛ وليس من المدهش أن تتداول القصائد بهذه الطريقة قرنين أو ثلاثة من الزمان ٢ :

ومن الطبيعي أن يظن المرء أن هذه القصائد اعتراها بعض التغيير في أثناء هذا الانتقال :

- (١) تيسر الصفحات الأربع المصورة في الديوان التحقق من هذه الملاحظات .
- (٢) كثيرا ما أشير إلى أن حفظ الأدب الهندي القديم في القرون السابقة على شيوع التنوين ، يعطينا مثلا أكثر إثارة للدهشة من أمثلة ما تستطيع الذاكرة البشرية القيام به .

فعدم تثبت الذاكرة يؤدي إلى إسقاط أبيات ، أو اضطراب ترتيبها ، أو إبدال عبارات منسوبة بعبارات من الراوى ؛ ومثل هذه الظواهر مألوفة في كل مكان . ولكننا حين نختبر القصائد ذاتها ، نجد قدرا من الشخصية الذاتية يكفيننا للقول بأنها في معظمها من عمل المؤلفين المنسوبة إليهم . فالمعلقات السبع مثلا ، كلها قصائد ذوات ذاتية ومزايا عالية ، وتقدم لنا شخصيات شديدة التميز . ونفس الأمر نجده في القصائد الثلاث الباقية (للأعشى والنابعة وعبيد) التي عدّها كثير من النقاد من المعلقات . فقد تركت شخصية امرئ القيس ، وزهير ، وليبد ، والنابعة ، والأعشى طابعها على شعرها ، ومن إفراط الخيال أن تظنّ أن معظم القصائد المنسوبة لهم منحولة في عصر متأخر ، ومن تأليف أدباء عاشوا تحت ظروف مغايرة تمام المغايرة ، وفي عالم شديد الاختلاف عن أيام الحياة البدوية في الصحراء العربية .

والسبب الثاني لاستمساكنا بأن الشعر القديم كما وصل إلينا صحيح في جملته ، وليس منحولا ، هو إيمان شعراء القرن الأوّل الهجري به ، فقد استمرّ شعراء القرن الأوّل المشهورون : الفرزدق ، وجريير ، والأخطل ، وذو الرمة على تقاليد الشعراء في العصر الجاهلي ؛ فبالإضافة إلى إشارتهم الشخصية استعملوا تراثهم الشعري مرارا وتكرارا ، وتناولوا نفس الموضوعات بنسب الطرق ، محسنين ومحمّرين ومستعيرين ، ولكن ما زالوا متقيدين بنفس التقاليد ، وليس هناك من شكّ في أنه قد وصلتنا قصائد هؤلاء الشعراء صحيحة ؛ فقد عاشوا في عصر عمّ استخدام الكتابة فيه لتدوين المؤلفات الشعرية ، وإن كانت الرواية لا تزال أداة نشرها بين الجمهور .

وسبب ثالث هو أن القصائد القديمة كانت الأولى بألفاظ غريبة على العلماء الذين كانوا أوّل من عرض هذه القصائد لحكّ النقد ؛ فقد كانت تنتمي لمرحلة قديمة من اللغة كانت غير مستعملة في الزمن الذي كتبت فيه القصائد وجمعت في دواوين . ويجب أن يتنبّه كل من ألف الشروح القديمة (التي تكون المادة التي جمعت منها المعاجم فيما بعد) أن الشراح الذين يختلفون فيما بينهم اختلافا كبيرا - توصلوا إلى شرح الصعوبات بمقابلة عبارة بأخرى ، وبالجدل والنقاش لا بالإشارة إلى لغة الخطاب التي لم تكن تحتوى على الألفاظ التي يبحثون عن معناها ، وتعتمد المعاجم كل الاعتماد على الشعر القديم ولغة القرآن والحديث ، وتصرّح بصحة الشعر تصرّحها بصحة القرآن والحديث .

(١) تصور عدة فقرات في الشعر والشعراء لابن قتيبة هذه المسألة تصويرا حسنا كل الحسن .

ودعنا نختبر القصائد والشذرات المنسوبة لعبيد ، وكلّ هذه الاعتبارات في ذاكرتنا ، نجد قدرا كبيرا منها يتألف من « نسيب » أو « تشبيب » القصائد الكبيرة ، فتعرض عمل الشاعر المحترف بهذه الطريقة ، ولا بد أن هذه القطع حُفِظت لأنها كانت موضع الإعجاب ، ويصرّح مطلع ثلاث وعشرين قصيدة من قصائد الديوان الثلاثين ، ويرد بها ذكر مواضع قبيلة الشاعر وبطنه ، وتكرّر هذه المواضع من قصيدة لأخرى ، وتدلّ على أن المؤلف رجل من سعد بن ثعلبة من أسد التي توجد في أرضها المواضع المذكورة ؛ وتحتوى القصائد على إشارات إلى أحداث عصر عبيد: مقتل حُجر ، والأسلحة العظيمة التي تفخر بها القبيلة ، ومقاومة غسّان وملكها الحارث الأعرج . وكل هذا يتفق مع كونها من تأليف عبيد . وفي بعض الحالات (مثل الإشارة إلى الصراع مع عامر في النصار ودارم في الجفار ، في القصيدة ٣ البيتين ١٨ ، ١٩ ، إذا كان تأريخ الروايات لهذه الحوادث بعد شعب جبلة صحيحا) يبدو أنه أُدخِلت في قصائد عبيد أبيات تشير إلى حوادث وقعت بعد زمن عبيد من تأليف شعراء آخرين من القبيلة .

وتكشف لغة القصائد عن شخصية ذاتية بارزة . وهاك ثبنا بالألفاظ التي ترد أكثر من مرة ، ويبدو أن الشاعر كان يميل إليها :

الأُتَى : الذين ٣٢ ، ١ ، ٤٣ ، ١٨ .

أهلُ القِيَاب : أهل الخيام النفيسة ، [السادة] ، من قبيلته ٦ ، ٥ ، ١٦ ، ١٤ ، ٤٨ ، ٢ .

أهل الجُرْد : أهل الخيل القصيرة الشعر ٨ ، ٢ ، ١٦ ، ١٤ ، ٤٨ ، ٣ .

أَنيس : نوع ، من الصديقات ٣٨ ، ٤ ؛ أوانس ، الجمع ٣١ ، ٢ ، ٤٢ ، ١٤ ؛

آنسة ٤٩ ، ٥ ، ١٢ ، ١١ ، ٥٢ ، ٢٥ ؛ [اللواتي يأنسن في الحديث ، أويؤنس

بهن من غير ذنب] .

ثبجُ المطرُ : هطل في غزارة ٣٠ ، ٢ .

الجَميع : جميع القبيلة النازلة معا ٤٠ ، ٤ ؛ ٤٢ ، ٢ ؛ نفس القصيدة .

مجاليل : سحاب فيه رعد ٣٤ ، ١ ؛ ٤٧ ، ٣ .

حَرِقُ البوارقِ : سحاب كأنه نار توقد ٤٧ ، ٣ . حَرِقُ البوارق : سريع البوارق :

انظر بَرَقُها حَرِقُ في ٤٩ ، ١٠ والشرح .

خَيْرُص : سنان الرمح (أو رمح) ٣ ، ٢١ ؛ ٤٣ ، ١٢ ؛ ٥١ ، ١٦ .

خَيْلَل : أعماد السيوف المنقوشة : آثار الخيام مشبهة بها ٣٨ ، ٦ ؛ خلال بنفس المعنى ٤١ ، ٣

داويّة : صحراء واسعة ٤٩ ، ١٢ ؛ الدوّ أيضا ٣٢ ، ١٢ ؛ والدوّى ٤٩ ، ١٤ .
 ديمومة : صحراء واسعة ٢٨ ، ١٣ ؛ ٤٩ ، ١٢ .
 دُلّح (سحب) : تحمل أحمالاً ثقيلة (من المطر) ٣٠ ، ٢ ؛ دَلّاحٌ بنفس المعنى ١١ ، ١٤ .
 أذاع به : فرقه ٤ ، ٢ ؛ ٤٧ ، ٣ .
 شُبْنَانَةٌ رَجِيَّةٌ : مطرة في رجب (الشتاء) ٥٠ ، ٣ .
 ليلة رجيّة : ليلة شتوية ١٣ : ١٠ .
 رَيْقٌ : أوّل المطر ١١ ، ٩ ؛ ٤٩ ، ١٠ .
 سَبَسَبَ : أرض مستوية لاشيء فيها ٥ ، ٤٢ ؛ ٤١ ، ٣٣ (ولكن بسابس ٤٢ ، ٢) .
 مَسَارِبٌ : مراعى ١٣ ، ٤ ؛ ٤٧ ، ٤ .
 مشيحاً : مجدّ آفى السير ٥ ، ٣١ .
 عقاب : نسر ، يطلق على العلم ٣ ، ٢١ ؛ ٥٢ ، ٢٢ .
 عَكَفَ : وقوف الخيل على المحارب القتل ٤٧ : ٤٧ ، ١٠ ؛ ١٤ ؛ وقوف الأسد متفرسة
 ٣١ ، ١٩ .

عَوَمَ السّفين : سير السفن ١٠ ، ٥ ؛ ٥١ ، ٣ .
 غاب : آجام ، أو لعلها علّم ٥ ، ٣٤ ؛ ٣٢ ، ١٨ .
 قد أترك القرن : أغادر خصمى (راقدا) ١٠ ، ١٢ ؛ ١٦ ، ١٥ .
 قَلَصِي : شمري ، يخاطب ناقة ٣١ ، ٧ ؛ قَلَصَتْ ٤٢ ، ١١ .
 قَعَا : ظهر ، مكان : قَعَا حَبْر : ٤ ، ٣ ؛ قَعَا شَرَف : ٢٨ ، ٣ ؛ قَعَا ذِيَالٍ : ٥١ ، ٢

الشرح .

لُجَيْنٌ : فضة ٤١ ، ٧ ؛ ٥١ ، ١١ الشرح .
 تَلُكْنُهُ شَمَالٌ : تلقه ربح الشمال ٥ ، ٣٥ ؛ نَلُفَ ضِرَامَهَا بَضْرَامٍ ٤٧ ، ١٧ .
 أمثالى : نظرائى ٤٠ ، ٤ ؛ ٤١ ، ١٤ ؛ ٤٢ ، ١ .
 مُرَّانُ الوَشِيحِ : الرمالح ٣ ، ٥ ؛ ٥٠ ، ٦ .
 مَطَّ حَاجِيَيْتِكَ : تقطيب ٤١ ، ١٢ ؛ انظر ٥١ ، ٨ .
 مَهَا ، مَهَاءٌ : بقرة وحشية ، تطلق على المرأة ٣٢ ، ١ ؛ ٤٠ ، ١٥ ؛ ٤١ ، ١١ ؛
 ٤٩ ، ٦ ؛ (انظر : سَرَبٌ من ظباء ١٠ ، ١٤) .

ناعمة : رخصة ، لطيفة ، لقب امرأة ٢٨ ، ٥ ، ٤٠ ، ١٥ ، ٤٩ ، ٦ .
 ناهيل : نواهيل : عطشى (رماح) ٣ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ١٥ ، ٥٢ ، ١٠ .
 هَذَا وَ : لتغيير الموضوع ٤٠ ، ٩ ، ٤٩ ، ١٢ ، ٥٢ ، ١٥ .
 هي : لغة أسدية في هي ٥ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ١٦ .
 أَوْجَرَّت : طعنت (برمخ) ١٦ ، ١٦ ، ٤٠ ، ١٢ .

ويتجلى في موضوعات عدة قصائد طريقة متسقة في الطواف حول موضوعات
 واحدة . فالقصيدة ٥١ تعالج نفس موضوع القصيدة ٤١ ، ونجده ثانية في القصيدة ١١ ،
 الأبيات ١ - ٥ . وفي المفضليات قصيدة (رقم ٤) للجسيمح (أو منقذ) بن الطماح ، من
 قبيلة عبيد ، عاش في الجيل التالي له ، تتناول الموضوع نفسه ، بطريقة تذكرنا بعبيد ؛ وقد
 قُتل الجسيمح ، الذي يصف نفسه بكبر السن « البيت الثالث » في شِعب جبيلة ؛ وقد ذكر
 امرؤ القيس (٣٠ : ١٣) أباه الطماح في عداد أعدائه ، وأنه الذي دس له عند قيصر .
 ويتكرر موضوع القصيدة ٤٧ ، البيت ٦ وبعده في القصيدة ٥٢ . وتشابه القطع المختلفة
 التي تصف العواصف تشابها بارزا في التناول (انظر شرح كل منها) .

وتحتوي القصائد على فقرات غامضة بسبب ضياع شرحها ، أو سقوط أبيات توضح معانيها ؛
 كما في القصائد ٣ ، ١٣ ، الأبيات ١٦ - ١٧ . ويشك في معاني عدد كبير من الألفاظ ،
 أو يجهل معناها ؛ ولكن لا يمكن القطع بصحة الألفاظ في هذه الأحوال لرداءة المخطوط .
 وصفوة القول أنه ليس هناك من سبب للشك في صحة نسبة أغلب القصائد المنسوبة
 لعبيد ، أما ما نشك فيه (لأسباب يبيتها في ترجمة كل قصيدة) فالقصائد ٤٣ ، ٣٠ ، ١٢ ،
 ٤٨ ، بالإضافة إلى أبيات من القصيدة ٣ . وأما الأبيات الحكيمة ذات الصبغة الإسلامية ،
 التي تظهر في القصيدة الأولى وبعض القطع الأخرى ، فربما كانت من زيادة بعض المتأخرين .
 ومن الواضح أن بعض الشذرات في الضميمة منحوالة أو منسوبة خطأ لعبيد ، مثل رقم ١٥ ،
 ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ ؛ وربما كان الباقي صحيحا .

وأسلوب عبيد طبعي وسهل ، ولا يتجلى فيه التكلّف الذي أُغرم به الأدباء فيما بعد .
 ولم تشقّ ترجمة القصائد (غير المحرفة) في معظم الأحيان إلا في مواضع قليلة .

مقدمة جامع الديوان المخطوط

كان من شأن عبيد بن الأبرص بن جُشم بن عامر [بن هير] بن مالك بن الحارث [ابن سعد] بن ثعلبة [بن دودان] بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، أنه كان رجلاً مُقْبِلًا لآمال له : فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخت له تُدعى بماوية ليورد غنمه : فنعه رجل من مالك بن ثعلبة وجبَّهه . فانطلق حزينا مغموما للذي صنع المالكي به حتى أتى شجرات واستظل "تحين" ، فناما هو وأخته . فزعموا أن المالكي نظر إليه وإلى أخته [إلى جنبه فقال] :

ذاك عبيد قد أصاب ميًّا يا لَيْتَهُ أَلْقَحَهَا صَيًّا

فحملت فولدت ضاويًّا

فسمعه عبيد فرفع يديه إلى السماء ثم ابتهل فقال : اللهم إن فلانا قد ظلمني ورماني بالبيتان ، فأدِ لني منه وانصرني عليه . ثم رفع رأسه إلى السماء ثم ابتهل فقال : اللهم ذاك يقول الشعر . [ثم نام] .

فزعموا أنه أتاه آت في منامه بكبة من شعر فألقاها في فيه وقال : قل ما بدالك ، فأنت أشعر العرب وأجعد العرب : إن صرت مقاتلاً فليما بسطت يدا ووصلت رحما . فانتبه وهو يرتجز بيني مالك (وكان يقال لهم بنو الزنية) وهو يقول :

يا بني الزنية ما غرَّكم لكم الويل بسر بال حَجْرُ

فلم يزل فضله في قومه يُعرف حتى قُتل .

وكان من [حديث] قتله أن المنذر بن ماء السماء بسَّى الغريين . فقيل له : ماذا تريد بهما ؟ (وكان بناهما على قبري رجلين من بني أسد كانا نديميه ، أحدهما خالد بن نَضْلَةَ الفقعسي ، وكان أسر يوم جبلة . والآخر عمرو بن مسعود) ، فقال : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري : لا يمر أحد من وفود العرب إلا بينهما . وكان (له) في السنة يومان معروفان

بيوم بؤس ويوم نعمة : فكان إذا خرج يوم بؤسه يذبح فيه أول من يلقاه كائنا من كان ؛
 وإذا خرج في يوم نعمته يصل أول من يلقاه ويحبوه ويُحسِن إليه . فيينا هو يسير في يوم
 بؤسه ، إذ أشرف له عبيد . فقال لرجل ممن كان معه : من هذا الشقي ؟ فقال له : هذا
 عبيد بن الأبرص ، فأتى به . فقال له الرجل : أبيتَ اللَّعنَ اتركه ، فإن عنده من حُسن
 القريض أفضل مما تدرِك في قتله ، مع أنه من رؤساء قومه وأهل النجدة والشأن إفيهم ؛
 فاسمع منه وادعه إلى مدحك ، فإن سمعت ما يعجبك كنت قد عَفَتَ له المنة ، فإن مَدَحْتَه
 الصنعة ، فإن لم يعجبك قوله كان هنيئا عليك قتله ، فإذا نزلنا فادع به . قال : فنزل المنذر
 فطعم وشرب ، وبينه وبين الناس حجاب يراهم منه ولا يروونه . فدعا بعبيد من وراء الستر :
 فقال له رديفه : ما ترى يا أبا أسد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . قال : فعليك بالخروج
 له ليقربك ذلك من الخلاص . قال : ثكلتك الثواكل ، إني لأعطي باليد ، ولا أُحْضِرُ
 البعيد ، والموت أحبُّ إلى . قال [له الملك] : أفقلت شيئا ؟ قال : حالَ الجَرِيضِ دون
 القريض . قال له المنذر : أنشدني من قولك : « أقفر من أهله ملحوب » .
 قال عبيد :

أقفر من أهله عبيد فليس يبدي ولا يُعيد

قال : أنشدنا أيضا . فقال :

الخمير تكني 'الطلاء' كما الذئب يكنى أبا جعده

فقال : قل في مديحا يسير في العرب . [قال] : أما والصبارُ في ما عَجِلَ فلا . قال : نطلقك
 ونحسن إليك . قال : أما وأنا أسير في يدك فلا . قال : نردك إلى أهلِكَ ونلتزم رِفْدَكَ :
 قال : أما على شَرَطِ المدحِ فلا .

قال عبيد :

أوصى بني وأعمامهم بأن المتايا لهم راصده

لها مدة- فنفس العباد إليها وإن جهدوا قاصده

فوالله إن عشت ما سرتي وإن مت ما كانت العائده

فقال بعض القوم : أنشد الملك . قال : لا يرجي لك من ليس معك . قال بعضهم من القوم :
 أنشد الملك . قال : وأُميرٌ دون عبْيدة الوَدَم . قال بعض القوم : أنشد الملك . فقال :
 حال الجريض دون القريض . وكان مما أنشده عبيد بن الأبرص :

مُهَلًّا أَبَيْتَ اللَّعْنَ [مَهْلًا إِنْ] فِيهَا قَلَّتْ آمَةٌ
فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَثْرِبَ فَالْقُصُورِ إِلَى الْيَامَةِ
تَطْرِبُ عَانَ أَوْ صِيَا حُ مُحْرَقٍ أَوْ [صَوْتُ] هَامَةٍ
بَرِمَتْ بَنُو أَسَدٍ كَمَا بَرِمَتْ بِيَيْضِيهَا الْحَمَامَةُ
مَهْمَا تَرَكَتْ تَرَكَتْ عَقْفُوا أَوْ قَتَلَتْ فَلَا مَلَامَةَ
ذَلُّوا فَأَعْطَوْكَ الْمَقَا دَةَ كَالأُحَيْمِرِ ذِي الْخِزَامَةِ

قال له المنذر : يا عبيد أَى قِتلة أحب إليك أن أقتلك ؟ قال : أيها الملك روئى من الخمر
وافصلنى ، وشأنك شأنى . [فسقاه الخمر ثم] أقطع له الأكل . فلم يزل الدم يسيل حتى
نقد الدم وسالت الخمر فمات .
تم حديثه ثم ابتدأنا بشعره .